﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف: 32]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إنكارُ دينِ الفِطْرةِ الجامِعِ بين مَصالِحِ البَشَرِ ظُلمٌ للنَّفْسِ

لَمَّا أمرَ اللّٰهُ تعالى في الآيةِ السَّابقةِ باتِّخاذِ الزِّينةِ عند كلِّ مسجدٍ، وأكلِ الطَّيِّباتِ دونَ إسرافٍ، أردفَ ذلك باستنكار تحريمِ الزِّينةِ الّتي أخرجَها اللّٰهُ لعباده، وتحريمِ الطّيّباتِ منَ الرِّزقِ؛ حيث إنَّه منَ المُستنكرِ أن يُحَرِّمَ أَحَدٌ بهَواه ورأيه ما أحلَّه اللّٰهُ تعالى، وما أخرجَه للنَّاس منَ الزِّينة أو منَ الطَّيِّبات، فالتَّحريمُ والتَّحليلُ لا يكون إلّا بشَرعٍ منَ اللّٰه تعالى وَحدَه، فالمناسبةُ بين الآيتين تأكيدُ حلِّ الطَّيّباتِ، وأنَّه ليس لأحدٍ أن يجني على نفسِه وعلى غيرِه، "وأيضًا لَمَّا حَرَّمَتِ العَرَبُ في جاهِليَّتِها زينةَ اللِّباسِ في الطَّوافِ تعبُّدًا وقُربةً، وحَرَّمَ بعضُهم أكلَ بعضِ الطَّيِّباتِ منَ الأَدهانِ وغَيرِها في حال الإحرامِ بالحَجِّ كذلك، وحَرَّموا منَ الحَرثِ والأنعامِ ما بيَّنه تعالى في سورة الأنعام، وحَرَّمَ غَيرُهم منَ الوَثنِيِّينَ وأهلِ الكِتابِ كثيرًا منَ الطَّيِّباتِ والزِّينةِ، كذلك جاءَ دينُ الفِطرةِ الجامِعُ بين مصالِحِ البَشَرِ في معاشِهم ومَعَادِهم، المُطَهِّرُ المُرَبِّي لأرواحِهم وأجسادِهم، يُنكِرُ هذا التحَكُّمَ والظُّلمَ للنَّفسِ"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَخۡرَجَ﴾: من خَرَجَ يَخرُجُ خُرُوجًا ومَخْرَجًا: بَرَز من مقرِّه أو حالِه، سواء كان مقرُّه دارًا، أو بلدًا، أو ثوبًا، وسواء كان حالُه

(1) رضا، تفسير المنار: 8/345.

حالةً في نفسِه، أو في أسبابِه الخارجةِ. والخُروج: نَقِيضُ الدُّخُولِ[1]. وأَخرجَ الشَّيءَ: أَبرزَه وجعلَهُ خرجًا فهو مُخرَجٌ. ومعنى الإخراج في الآيةِ: إتاحةُ رزقِ اللّهِ منَ المأكولاتِ والمشروباتِ والملبوساتِ.

2) ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: جذر الكلمة (طيب)، وأَصلُ الطَّيِّب: ما تستلذُّه الحَواسُّ. والطَّيِّبُ نَقيضُ الخَبيث. "والطّعامُ الطَّيِّبُ شرعًا ما كان متناولًا من حيث ما يجوز، وبقدر ما يجوز، ومنَ المكان الّذي يجوز، فإنّه متى كان كذلك كان طَيِّبًا عاجلًا، وهذا هو المرادُ في الآيةِ الكريمةِ"[2]. والطَّيِّباتُ: المُستَلَذّاتُ مِنَ الطَّعامِ، وقِيلَ: هو اسمٌ عامٌّ لِما طابَ كَسبًا ومَطعَمًا[3].

3) ﴿خَالِصَةً﴾: من (خلص)، وأَصلُ الخلوص: تَنقِيَةُ الشَّيءِ وتهذِيبُه[4]. والخالِصَةُ: السّائِغَةُ؛ أي: المُباحَةُ؛ أي: لا شائِبَةَ حَرَجٍ فِيها؛ أي: في أكلِها، وَفي قَولِه: ﴿خَالِصَةً﴾ وجهانِ: أَحَدُهُما: خالِصَةٌ للمؤمنين مِن دُونِ الكُفّارِ، والثّاني: خالِصَةٌ مِن مَضَرَّةٍ أو مَأثَمٍ[5].

4) ﴿نُفَصِّلُ﴾: من (فَصَل)، أصلٌ يدلُّ على إبانةِ أحدِ الشّيئين منَ الآخر: حتّى يكونَ بينهما فُرجَةٌ، ومنه قيل: المَفَاصِلُ، الواحدُ مَفْصِلٌ، وفَصَلْتُ الشّاةَ: قطعتُ مفاصلَها، وفَصَلَ القوم عن مكانِ كذا، وانفَصَلُوا: فارقوه[6]، فالمعنى المحوريّ للمادَّة هو تميّزُ الشّيءِ عن غيرِه مع تمامٍ[7]. والمرادُ هنا: التّبيينُ والتّوضيحُ والتّفسيرُ.

5) ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾: من (أيي)، يدلُّ أَصلُ الكلمةِ على بقاءِ الشَّيء في مكانه شَاخِصًا، عَلَامَةً لِشَيءٍ وأمارَةً عليه. ومِنهُ قولهُم: خرجَ القومُ بآياتهم؛ أي: جماعتِهم، فَلَم يَدَعُوا شيئًا مِمَّا مِن شأنِه أَن يكُونَ شاخصًا إلَّا حَملُوه، وفيه معنَى الكَثرَةِ والجسَامَةِ أيضًا[8]، والآيَةُ: كُلُّ شيءٍ ظاهرٍ مُلازِمٍ لشيءٍ باطنٍ يُعرَفُ بِهِ، حسِّيًّا كان أو عقليًّا[9]، والمرادُ منَ الآيات هنا الأحكامُ، وتعاليمُ الإسلامِ.

(1) الرّاغب، المفردات: (خرج).
(2) السَّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفَّاظ: (طاب).
(3) الشَّوكانّي، فتح القدير: 2/282.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلص).
(5) الماورديّ، النُّكَت والعيون: 2/219.
(6) الرّاغب، المفردات: (فصل).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (فصل).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (أيى).
(9) الرّاغب، المفردات: (أي).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إبطالُ مزاعمِ أهلِ الجاهليّةِ فيما حرَّموه مِنَ اللِّباسِ والطَّعامِ

أمرَ اللّهُ تعالى رسولَه ﷺ بأن يقولَ لأولئك الّذين يطوفون بالبيت عَرايا، ويمتنعون عن أكلِ الطّيّباتِ: مَنِ الّذي حَرَّم الزِّينةَ الّتي أحلّها اللّهُ مِنَ اللّباسِ والجواهرِ؟ وَمنِ الّذي حرَّمَ الطَّيِّباتِ منَ المأكولاتِ والمشروباتِ؟ ومَنِ الّذي يتجرَّأُ على اللّه تعالى فيحرِّمَ ما أحلَّه سبحانه؟ أو يُحَلِّلَ ما حرَّم؟!

إنَّ هذه النِّعم أحقُّ النّاس بها المؤمنون، وإن شاركهم فيها الكفّارُ في الدّنيا، فهي في الآخرة خالصةٌ للمؤمنين فحسب، وبمثل هذا البيانِ في مسائل الزِّينةِ والأكلِ والشّربِ يبيِّنُ اللّهُ تعالى الأحكامَ؛ ليكونَ المؤمنُ على هُدًى وبصيرةٍ في كُلِّ شؤونِه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

أغراضُ الاسْتِئْنافِ:

تفنيدُ ادِّعاءاتِ أهْلِ الجاهليَّةِ فِيما حَرَّمُوه على أنفُسِهم مِنَ اللِّباسِ والطَّعامِ

افتُتِحت الآيةُ الكريمةُ باستِئنافٍ جاء مُعترِضًا بَينَ الخِطاباتِ المَحكِيَّةِ والمُوَجَّهَةِ، فقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾، ولهذا الاسْتِئْنافِ أغراضٌ:

الأوَّل: إبطالُ ادِّعاءات أهلِ الجاهليَّةِ فيما حَرَّمُوه على أنفسِهم مِنَ اللِّباسِ والطَّعام[1].

الثّاني: تأكيدُ الإباحةِ والاستمتاعِ بالزّينةِ، والأكلِ، والشّربِ، مع عدمِ الإسرافِ[2].

الثّالث: الرّدُّ على المُتَنَطِّعِينَ الّذين يُضَيِّقونَ على أنفسِهم ما وسَّعَه اللّهُ عليهم[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/95.
(2) درويش، إعراب القرآن: 3/344.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 5/265.

الرابع: مزيدُ تَأكِيدِ وجوبِ التَّستُّرِ عامَّةً، وفي المَساجِدِ خاصّةً؛ احترامًا لقدسيّتِها ومكانتِها.

فائدةُ البَدْءِ بفعْلِ الأمْرِ:

فائدةُ الافتتاح بفعل الأمرِ ﴿قُلْ﴾ تظهرُ في الآتي:

توجيهُ العِنايةِ بالرَّدِّ على المُجادِلين المُنكِرين

الأوّل: الإشارةُ إلى أنَّ الكلامَ الآتي بعد فعلِ ﴿قُلْ﴾ مَسُوقٌ لِلرَّدِّ والإنكارِ والمُحاوَرَةِ والمجادلةِ على زَعمٍ باطلٍ.

الثّاني: الاهتمامُ بالقول، وأنَّه رسالةٌ خاصَّةٌ تَجِبُ المواجهةُ بها، وتُؤَدَّى فورَ تلقِّيها.

الثَّالث: توجيهُ العنايةِ بالرَّدِّ على المُنكِرين بالتزامِ منهجِ الوحي وقِيَمِه.

غرَضُ الاسْتِفهامِ:

الإنكارُ على الزَّاعمين وتوبيخُهم بخروجِ الاستفهامِ مَخرجَ التَّهكُّمِ

الاستفهامُ في قولِه: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ إنكاريٌّ توبيخيٌّ، ومعناه: إنكارُ تحريمِ تلك الأشياءِ مِنَ الثِّيابِ وسائرِ ما يُتَجَمَّلُ بِهِ ويُتَزَيَّنُ، وتوبيخُ مُحَرِّميها وتسفيههم؛ حيث تجاسروا وحَرَّموا مِن تلقاءِ أنفسِهم ما أَحَلَّه اللّهُ تعالى لَهُم، وما لم يُحرِّمه عليهم، ولا جَوابَ للاستفهام؛ لتضمُّنه معنى الإنكار؛ إذ لا يُرادُ به الاستعلامُ. وقُصِدَ بالاستفهامِ التَّهَكُّمُ؛ إذ جَعَلَهم بِمَنزِلَةِ أهلِ علمٍ يُطلَبُ مِنهُمُ البَيانُ والإفادةُ نَظِيرَ قولِه: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام: 148] وقولِه: ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأنعام: 143]، وقَرِينَةُ التَّهَكُّمِ: إضافَةُ الزِّينَةِ إلى اسمِ اللّهِ، وتَعرِيفُها بِأنَّها أخرَجَها اللّهُ لِعِبادِه، ووَصفُ الرِّزقِ بالطَّيِّبات، وذَلِكَ يَقتَضِي عَدَمَ التَّحرِيمِ، فالاستِفهامُ يَؤُولُ أيضًا إلى إنكارِ تَحرِيمِها[1].

دَلالةُ الاسْتِفهامِ:

دَلَّ الاستفهامُ في قولِه تعالى: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ على أنَّ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/96.

الأصلَ في الملبوساتِ والمطعوماتِ وأنواعِ التَّجَمُّلاتِ الإباحةُ، ويدخُلُ تحتَ الزِّينةِ "جميعُ أنواعِ التَّزيينِ، ويدخُلُ تحتَ الطَّيّباتِ مِنَ الرِّزقِ كلُّ ما يُستلَذُّ ويُشتَهى من أنواعِ المأكولاتِ والمَشروباتِ، ويدخلُ أيضًا تحتَه التّمتُّعُ بالنِّساءِ وبالطّيبِ"[1].

الإباحةُ هي الأصلُ في الملبوساتِ والمطعوماتِ وأنواعِ التَّجَمُّلاتِ

بَلاغةُ الاسْتِفهامِ في تقرير المَعاني:

الإنكارُ في قولِه تعالى: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ مُوجَّهٌ للفاعلِ لا للفعْلِ بدليلِ السُّؤالِ بـ﴿مَنْ﴾، وهذا هو الوجهُ الأبلغُ في الإنكارِ؛ "فإنكارُ الفاعلِ يُوجِبُ إنكارَ الفعلِ؛ لِعَدمِه بدونِه"[2]، ووجهُ الأبلغيَّةِ أنَّ الاستفهامَ جاءَ بطريقِ الكنايةِ؛ حيث لم يُسَلَّط على الفعلِ مباشرةً، بل أُخرِجَ مَخرجَ الثَّابتِ غيرَ المنفيِّ، ثُمَّ وُجِّه الاستفهامُ إلى ما هو فاعلٌ له في المعنى بأداة الاستفهام (مَن)، بمعنى: أنَّ هذا الاستفهامَ ليس له فاعلٌ، ويترتَّبُ على ذلك نفيُ التّحريمِ بطريقِ الكنايةِ الّتي تأتي فيها الدَّعوى مصحوبةً بالدَّليلِ، وممَّا هو بَيِّنٌ أنَّ الكنايةَ أبلغُ في مَوضِعِها مِنَ التَّصريح[3]، فما جاء عليه النَّظمُ أبلغَ من صريحِ التَّحريمِ.

نفيُ التَّحريمِ بطريقِ الكنايةِ أبلغُ مِنَ التَّصريحِ

دَلالاتُ إضافةِ ﴿زِينَةَ﴾ إلى لفْظِ الجلالةِ:

دلَّت إضافةُ الزِّينةِ إلى اللّه تعالى على الآتي:

الأوّل: التَّشريفُ؛ فإنَّ إضافةَ الشَّيءِ إلى اللّه تعالى إضافةُ تشريفٍ.

الثَّاني: زيادةُ الإنكارِ على الّذين حرَّموا الزِّينةَ وتوبيخهم؛ لأنَّهم جعلوا أنفسَهم مُشَرِّعينَ في دينِ اللّهِ.

الثَّالث: التّجرُّؤُ على تحريمِ زينةِ اللّهِ، فهم لم يُحرِّموا الزِّينةَ فحسب، بل حرَّموا الزّينةَ الّتي أخرجَها اللّهُ للنَّاس.

الاجتراءُ على تحريمِ زينةِ اللهِ هو اجتراءٌ على الله تعالى

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/67.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 4/164.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/368.

الرَّابع: الإيذانُ باستحسان الزِّينةِ والامتنانِ على العبادِ بإخراجِها لهم.

الخامس: "الزِّينةُ غيرُ المُحَرَّمةِ هي الزِّينةُ الّتي شرعَها اللّهُ منَ التَّجمّلِ باللّباسِ، وحُسنِ السَّمتِ، وليسَت زينةَ الشّيطانِ كارتداء اللّباسِ اختيالًا وتكبُّرًا، وما دَأبَت عليه النِّساءُ المُتبرِّجاتُ، فهذه كلُّها زيناتٌ مُحَرَّمةٌ، وكذلك الإسراف في التّزَيُّنِ، وإن كان أصلُه الإباحةَ"[1].

نُكتةُ وَصْفِ الزِّينةِ بالاسمِ الموصولِ:

الزِّينةُ المعهودةُ مِنَّةٌ مِنَ اللهِ تعالى

وُصِفتِ الزِّينةُ بالاسمِ الموصولِ؛ لمعرفتِها لدى المُخاطَبين، ولمعرفتِهم بأنَّها منَّةٌ منَ اللّه تعالى، فهي زينةٌ معهودةٌ، وفي ذلك إقامةٌ للحجَّةِ عليهم، وذمُّهم في تركِها وعدمِ أخذِها.

فائدةُ اسْتِعمالِ الفعْلِ ﴿أَخْرَجَ﴾:

تفصيلُ الزّينةِ بأنّها مُخرَجةٌ بفضْلِ اللهِ

أفادَ استعمالُ الفعلِ ﴿أَخْرَجَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾: تفصيلَ الزِّينةِ، ومزيدَ إيضاحٍ لها، فإخراجُها "للنَّاس عبارةٌ عن خَلْقِ موادِّها لَهُم وتعليمِهم طرائقَ صُنْعِها، بما أودعَ في فِطَرِهم مِن حُبِّها، وفي عقولِهم منَ الاستعدادِ للإبداعِ فيها ليَبلُوَهُم أيُّهم أحسنُ عملًا، وأكثرُ للمُنعِم شُكرًا، وأوسعُهم بِسُنَنِه وآياتِه علمًا"[2].

نُكتةُ الإيجازِ في الإسْنادِ:

إخـراجُ الـزّينـةِ قائمٌ على إخْراجِ أصُولِها

في استعمالِ الفعلِ ﴿أَخْرَجَ﴾ مجازٌ عقليٌّ؛ لأنَّ معنى إخراجِ الزِّينةِ إخراجُ موادِّها؛ كإخراجِ القُطنِ والكَتَّانِ منَ النَّباتِ، والصُّوفِ والحريرِ منَ الحيوان، والدُّروعِ منَ المعَادنِ[3]، ووَجهُ بلاغتِه: الإيجازُ في تأديةِ المعنى، وتصويرُه في صورةٍ محسوسةٍ مشاهَدَةٍ؛ فالإخراجُ يكونُ من خَبِيءٍ أو باطنٍ.

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/368.
(2) رضا، تفسير المنار: 8/388.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/384.

معنى اللَّامِ ودَلالتُها:

غـايـةُ إخـراجِ الـزِّيـنـةِ السَّتْرُ والتَّجمّلُ، فتركُ أشرفِهما دليلُ خِسَّةِ التَّارِكِ

أفادتِ اللَّامُ في قوله: ﴿لِعِبَادِهِۦ﴾ الاختصاصَ الدَّالَّ على الامتنان؛ فإنَّ الإخراجَ ارتبطَ بغايةٍ، وهي أن تكونَ الزِّينةُ للعبادِ، فلم يُخرجْها سبحانَه إخراجًا مُطلَقًا من غيرِ غايةٍ، بل لغاية أن ينتفعَ العبادُ بها سترًا وتجمُّلًا، وكانت غايةُ السَّترِ في الصَّلاةِ والعباداتِ، فتركوا هذه الغايةَ، ووقعوا في مقاصدِهم الخبيثةِ، وكلُّ كشفٍ للعورةِ مذمومٌ في أصلِه ومآلِه، وفي انبعاثِه وغايتِه، وطريقةُ الجاهليِّين مرهونٌ وجودُها بوجودِ عقائدِهم، وما يُشابِهُها من أفكارٍ.

دَلالةُ الاخْتِيارِ اللَّفظيِّ:

إغـراءُ الـعِـبـادِ بالـدُّخولِ تحتَ لِـــواءِ صِـفـةِ الـعُـبـوديَّةِ لله تعالى

آثرَ النَّظمُ استعمالَ لَفظِ (عِباد) دونَ مرادفاتِها في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾؛ لإغراءِ المُخاطَبين بأن يكونوا عبادًا لله تعالى، فإنَّ مَنِ التزمَ منهجَ اللهِ تعالى استحقَّ تلك الصِّفةَ، ولبيانِ أنَّ مقتضى العبوديَّةِ التزامُ الجادَّةِ وفقَ المطلوبِ، وللتَّنبيه على أنَّ غايةَ خلقِ النَّاسِ هي عبادةُ خالقِهم.

فائِدةُ إضافةِ اللَّفْظِ إلى الضَّميرِ:

تَشريفُ العِبادِ وتكريمُ البلادِ بأن يكونُوا على مَنهجِ اللهِ

أفادَت إضافةُ لفظِ (عباد) إلى الضَّميرِ العائدِ على لفظِ الجلالةِ في قوله: ﴿لِعِبَادِهِۦ﴾ التَّشريفَ، تشريفَ العبادِ لعبوديّتِهم للّه تعالى، فتلك العبوديَّةُ للخالقِ سبحانه شَرَفٌ ما بعدَه شَرَفٌ، بخلاف العبوديّةِ للمخلوقِ، ففيها ذُلٌّ ما بعده ذُلٌّ، وفيها إيماءٌ للعبادِ بأن يكونوا مُخلصينَ على منهجِ اللهِ وشرعتِه.

نُكتةُ عَطْفِ الطَّيِّباتِ على الزِّينة:

مناسبةُ العَطْفِ لِمَقامِ الامْتِنانِ

يُلاحظُ أنَّه في الآيةِ السَّابقةِ قد عُطِفَ الأمرُ بالأكلِ والشُّربِ على أخذِ الزِّينةِ، وهنا عُطِفتِ الطَّيِّباتُ على الزِّينةِ، ففيه إشرابُ الزِّينةِ المباحةِ معنى الطَّيِّبات، وإكسابُ الطَّيِّباتِ معنى الزِّينةِ، وهذا في غايةِ ما يكون عليه لُطفُ الامتنانِ على العبادِ، وفيه توسيعٌ لدائرة

الحِلِّ للعِباد، فَهَذِهِ الآيَةُ تَقتَضِي حِلَّ كُلِّ المَنافِعِ، وما يَرْتفِقُون به من أمورِ معاشِهم.

معنَى التَّعريفِ في لفْظِ: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾:

جنسُ الطَّيِّباتِ مَفهومٌ عامٌّ لا يُستثنَى منه إلَّا بدَليلٍ

التَّعريفُ في قولِه: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ للجِنس؛ أي: أحَلَّ اللهُ لعباده جِنسَ الطَّيِّبات، فاللَّفظُ على العموم، ويدخلُ تحتَ الطّيِّباتِ منَ الرِّزقِ كلُّ ما يُستَلَذُّ ويُشتَهى من أنواعِ المأكولاتِ والمشروباتِ، ويدخلُ تحتَه التَّمتعُ بالنِّسَاءِ والطِّيبِ إلّا ما نُهِي عنه، ووَرَدَ النَّصُّ بتَحريمِه[1]، ففي الجملة إيجازُ قَصرٍ؛ حيث عُبِّر عن صنوفِ الطَّيِّباتِ على كثرتها بجملةٍ مُوجزةٍ.

نَوعُ ﴿مِنَ﴾ وأثرُه في المعنَى:

بيانُ الجنْسِ أوِ التَّبْعيضِ

إذا حملنا ﴿مِنَ﴾ على بيانِ الجنسِ فيكون معنى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ بيانَ جنسِ الطَّيِّباتِ، وأنَّها الرّزقُ، وإذا حملناها على معنى التَّبعيضِ فيكون المعنى أنَّ الطَّيِّباتِ هي بعضُ الرِّزقِ، وأنَّ اللهَ رزقَ العبادَ الطَّيّباتِ لينتفعوا بها، ورزقَهم الخبائثَ لِيَبتليَهم بها؛ فالرّزقُ نوعان: طيّبٌ وخبيثٌ، ولكلٍّ حكمُه الخاصُّ به.

نُكتةُ تَكرارِ فعْلِ الأمْرِ ﴿قُلْ﴾:

إبـــرازُ بَـلاغـةِ الـتَّـقـابُـلِ بين المعاني المُختلِفةِ

أُعيدَ فعلُ ﴿قُلْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فلم يقُل: (هي للّذين آمنوا) بإسقاط فعلِ الأمرِ، ونُكتةُ ذلك: بيانُ أنَّ السُّؤالَ سُؤالُ عالمٍ لا سُؤالُ طالبِ علمٍ، أُمِرَ السّائلُ بأن يُجيبَ بنَفسِه سُؤالَ نَفسِه، فَعُقِّبَ ما هو في صُورةِ السُّؤالِ بقَولِه: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ على طَريقةِ قَولِه: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ﴾ [الأنعام: 12][2].

وأمرٌ آخر وهو: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُمِرَ أن يسألَهم عنِ المحرِّمِ، وأن

(1) ابن عادل، اللّباب: 9/90.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/96.

يُخبرَهم لمَنِ الطَّيِّبات، فاجتمع أمران: إنكارُ التَّحريم، وتوبيخُ المحرِّم، والإخبارُ بالتَّحليل، وتشريفُ المحلَّلِ له، وهذا آكدُ وأوضحُ مع ذكرِ فعل الأمرِ ﴿قُلْ﴾.

بَلاغةُ الاستِئنافِ البيانيّ:

جاء قولُه تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ استئنافًا بيانيًّا جوابًا لسؤالٍ تقديرُه: لمَنِ الطَّيِّبات؟ فقال: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وتظهرُ بلاغةُ الاستئنافِ في إبرازِ ما يجولُ في أذهانِ المُخاطَبين منَ السُّؤالِ عنِ المقصودِ بالإكرام، وليست جوابًا لقولِه تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ﴾ كما توهَّمه بعضُ المُفسِّرين[1].

إظهارُ ما يَجولُ في أذهانِ المُخاطَبين في البحثِ عنِ المقصودِ بالإكرامِ

تعيينُ مَرجِعِ الضّمير:

يعودُ الضَّميرُ المنفصلُ في قولِه تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على الزِّينةِ منَ الثِّيابِ والطَّيِّباتِ منَ الرِّزقِ، "بقَطعِ النَّظَرِ عَن وصفِ تَحريمِ مَن حَرَّمَها، أي: الزِّينَةُ والطَّيِّباتُ مِن حَيثُ هي، هي حَلالٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا، فَمَن حَرَّمَها عَلى أنفُسِهِم فَقَد حَرَمُوا أنفُسَهم"[2].

حِلُّ الزِّينةِ والطّيّباتِ للمؤمنين، فالّذين حَرَّموها عَلى أنفُسِهِم حَرَمُوا أنفُسَهم

نُكتَةُ حذفِ المُسندِ:

حُذِف المسندُ في قولِه تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على جعلِ الضَّميرِ مبتدأً، وتقديرُ الخبرِ المحذوفِ: حلالٌ؛ أي: الزِّينةُ والطَّيِّباتُ حلالٌ للّذين آمنوا في الحياةِ الدُّنيا، وهذا الحذفُ ظاهرٌ على قراءةِ نافعٍ بالرّفع كما سيأتي لاحقًا، ويُؤيِّده معنى الاختصاص في قولِه: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وتظهرُ بلاغةُ الحذفِ في جعل المحذوفِ منَ المسلَّماتِ البدهيَّةِ لدى المُخاطَبين، فالزِّينةُ والطَّيِّباتُ حلالٌ ليست بحرام، وبه يكون الّذين آمنوا هُمُ العبادُ الّذين أخرجَ اللّهُ لهم الزّينةَ والطَّيِّباتِ منَ الرِّزقِ.

مفاهيمُ القرآنِ مُسلَّماتٌ لدى المُخاطَبين تُدرَكُ بأدنَى إشارةٍ

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 5/301.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/96.

معنَى اللَّامِ ودَلالتُها:

المسلمُ فائزٌ بالدَّارَيْنِ وحائزٌ على الكرامتَيْن

اللَّامُ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لَامُ الاختِصاص، وهو يدُلُّ على الإباحَةِ، فالمَعنَى: ما هِيَ بِحَرام، ولكنَّها مُباحَةٌ للَّذِينَ آمَنُوا، وإنَّمَا حَرَمَ المُشرِكُونَ أَنفُسَهُم مِن أَصنافٍ مِنَ المباحاتِ في الحَياةِ الدُّنيَا كُلِّها، مِثلَ ما ابتدعوه في بهيمة الأنعامِ مِن تَرْكِ الانتفاعِ بها وجعلِها للأصنام: كالبحِيرَةِ - الّتي تُقطعُ أذنُها إذا ولدَت عددًا منَ البطون - والسَّائِبَةِ - الّتي تُتركُ للأصنام - والوَصِيلَةِ - الّتي تتّصلُ ولادتُها بأنثى بعدَ أنثى - والحَامِي - هو الذّكرُ منَ الإبل إذا وُلِدَ من صُلْبِهِ عددٌ منَ الإبل - وما في بُطونِهَا، وَحَرَمَ بَعضُ المُشرِكِينَ أَنفُسَهُم مِن أَشيَاءَ في أَوقَاتٍ مِنَ الحَيَاةِ الدُّنيَا مِمَّا حَرَّمُوهُ على أَنفُسِهِم مِنَ اللِّبَاسِ في الطَّوَافِ وفي مِنًى، ومِن أَكلِ اللُّحُومِ والوَدَكِ والسَّمنِ واللَّبَنِ، فَكانَ الفَوزُ لِلمُؤمِنِينَ إِذِ اتَّبَعُوا أَمرَ اللهِ بِتَحلِيلِ ذَلِكَ كُلِّهِ في جَميعِ أَوقاتِ الحَياةِ الدُّنيا[1].

سِرُّ إيثارِ الاسمِ الموصولِ على الاسمِ الظّاهِرِ:

التّعريضُ بالمُشركين الّذين حرَّموا الزّينةَ والطَّيّباتِ

آثرَ النَّظمُ استعمالَ الاسمِ الموصولِ على الاسمِ الظّاهرِ في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، فلم يقُل: (للمؤمنين)؛ وذلك للإشارة إلى عِلَّة بِناءِ الحُكمِ في الجملة؛ أي: تلك الزّينة، والطَّيّبات مِنَ الرِّزق إنَّما هي لَهُم بسبب إيمانِهم، ففيه تعريضٌ بالمشركين الّذين لم يُؤمنوا.

سِرُّ ذِكْرِ الموصوفِ وعَدَمِ الاكْتِفاءِ بالصِّفةِ:

الزّينةُ والطَّيّباتُ تُذخِلانِ الحياةَ الكريمةَ على المؤمنِ

آثرَ النَّظمُ ذكرَ الموصوفِ وهو ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾، فلَم يُكْتفَ بالصّفة ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ في قولِه تعالى: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ وذلك أنَّ الغايةَ الّتي لأجلِها أحلَّ اللهُ الزِّينةَ والطَّيِّباتِ هي الحياةُ الكريمةُ، فأشارَ بذكرِ الموصوفِ وهو ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أنَّ على المؤمن أن يحيا حياةً طيِّبةً مُزيَّنةً

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/96.

بالمباحاتِ، وفي ذلك ردٌّ على اتجاه الزُّهدِ المُطلَقِ؛ فإنَّه يُخالفُ مقاصدَ القرآنِ في الإنكارِ على تحريمِ المباحاتِ الّتي من شأنِها إدخالُ السُّرورِ على النَّفسِ المؤمنةِ.

سِرُّ حذْفِ المعطوفِ:

الكفّارُ تابِعُونَ للمُؤمنين في التَّمَتُّعِ بالزِّينةِ والطَّيِّباتِ

في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ اكتفى بإيراد (الّذين آمنوا) دونَ عطفِ غيرِهم عليهم، وإن شاركَهم غيرُهم في الزِّينةِ والطَّيِّباتِ في الدّنيا؛ تَنبيهًا على أنَّ هذه الزِّينةَ والطَّيِّباتِ خُلِقَتْ للعبادِ أصالةً ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، وغيرُهم لهم مقامُ التَّبعِ، فقد شملَتْهم الرَّحمةُ الإلهيَّةُ[1].

نُكتةُ التَّقديمِ والتَّأخيرِ:

المُسارعةُ بالبُشرَى مُقدَّمٌ على التَّشويقِ

قُدِّمَ قولُه: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على قولِه: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، فلم يقُل: (هي في الحياةِ الدُّنيا للّذين آمنوا)؛ فتَرَكَ التّشويقَ لِلمُسارعةِ إلى تبشيرِهم، وإدخالِ السُّرورِ عليهم؛ لإيمانِهم بالمُنعِمِ عليهم سبحانَه، وإقرارِهم بَنِعمِه عليهم؛ فقُدِّموا لَفظًا، كما قُدِّمُوا مكانةً وقربًا.

تَوجيهُ القراءاتِ القرآنيّةِ:

الطَّيِّباتُ خالصةٌ للمُؤمنينَ يومَ القيامةِ مِن دُونِ الكُفّارِ

وردَت قراءتان في قولِه: ﴿خَالِصَةً﴾؛ الأولى: بالرَّفع، وهي قراءةُ نافع، على أنَّها خبرٌ بعدَ خبرٍ، ﴿هِيَ لِلَّذِينَ﴾؛ والمعنى: قُل هي حلالٌ أو ثابتةٌ للمؤمنين في الحياة الدُّنيا، خالصةٌ لهم يومَ القيامة. والثّانية: بالفَتحِ على الحاليَّة، وهي قراءةُ الجمهور؛ والمعنى: ثابِتَةً لِلمُؤمِنِينَ، مُستَقِرَّةً في الحَياةِ الدُّنيا، خالِصَةً لهم يَومَ القِيامَةِ[2].

بَراعةُ تقديرِ المحذوفِ:

المحذوفُ المقدَّرُ لا يأخذُ جميعَ معاني المذكورِ

في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةً﴾ محذوفٌ يُقدَّرُ بالمقابلِ اللَّفظيِّ ﴿خَالِصَةً﴾، والمعنى: قل هي للّذين

(1) الزَّمخشريّ، الكَشّاف: 2/439، والبِقاعيّ، نَظم الدُّرر: 6/388.
(2) الزّجّاج، معاني القرآن: 2/321، وابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/269.

آمنوا في الحياة الدّنيا مُشْتَرَكَةً مع غيرِهم، وهي لهم في الآخرة خالِصَةً[1]، لا يشْركهم غيرُهم، ومعنى الاشتراك يظهرُ إيماءً وإشارةً؛ لأنَّ الاشتراكَ ليس على جميع معانيه، وإنَّما على معنًى واحدٍ وهو الانتفاعُ والتَّمتّعُ، أمَّا الحِلُّ والطِّيّبُ فهذا للمؤمنين فحسب، وهو ما يُؤكِّدُه معنى الاختصاصِ في حرفِ اللَّامِ.

بَلاغةُ التّشْبيهِ المُرسَلِ المُجمَلِ:

الإيماءُ إلى الإعجازِ الغَيبيِّ في مُعالجةِ المُستجِدَّاتِ الفقهيَّةِ

في قولِه: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ تشبيهٌ مُرسَلٌ مُجمَلٌ، ومعناه: مِثلُ هَذا التَّفصيلِ نُفَصِّلُ الآياتِ المُشتَمِلةَ على التَّحليلِ والتَّحريمِ[2]، وغرضُ التّشبيه بيانُ حالِ المشبَّه، والمُرادُ بالآياتِ الدَّلائلُ الدّالَّةُ على الألوهيَّة، وعلى عظيمِ قدرةِ اللّه تعالى، والدّالَّةُ على نُبُوّةِ محمَّدٍ ﷺ، وتظهرُ بلاغةُ التَّشبيهِ في بيانِ استمرارِ التَّفصيلِ في جميعِ الأحكامِ المُستجدَّةِ، ففيه إخبارٌ عن أمرٍ غيبيٍّ؛ وهو إحاطةُ القرآنِ وشمولُ أحكامِهِ في بيانِ التَّفصيلِ المُستجدِّ في كلِّ عصرٍ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بالفعْلِ المضارِعِ:

كلَّما استجدَّ أمرٌ جاءَ تفصيلُه من صاحبِ الأمرِ

التَّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ في قولِه: ﴿نُفَصِّلُ﴾ دون التَّعبير بالماضي (فَصَّلنا)؛ لترشيحِ معنى الاستمرارِ الّذي أشارَ إليه التَّشبيه، فكلَّما استجدَّ أمرٌ كان له تفصيلٌ واضحٌ في الكتابِ العزيزِ؛ لأَنَّ اللّه تعالى نزَّلَ القرآنَ توضيحًا لكلّ أمرٍ يَحتاج إلى بيانٍ، كأحكام الحلالِ والحرامِ، والثّوابِ والعقابِ، وغير ذلك.

فائِدةُ اللَّامِ ودلالتُها:

التّعريضُ بمَن لا يطلُبُ بيانَ آياتِ الله تعالى

اللّامُ في قَولِه تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لامُ العِلَّةِ؛ أي: لأجلِ قومٍ يعلمون، وهي مُتَعَلِّقةٌ بِفعلِ ﴿نُفَصِّلُ﴾؛ أي: تَفصيلُ الآياتِ لا يَفهَمُهُ إلّا قَومٌ يَعلَمُونَ، ففيه تعريضٌ بمَن لا يكترثُ بتفصيلِ اللّهِ لآياتِه.

(1) الفَرّاء، معاني القرآن: 2/156.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/224.

إيثارُ التَّعْبيرِ بلَفْظِ (قَوْمٍ):

أَهلُ العِلْمِ همُ القائمون بآياتِ اللهِ

أُوثرَ التَّعبيرُ بلَفظِ (قَوْم)؛ للإشارة إلى أنَّ هذِهِ الآياتِ الإلهيَّةَ لا يَنتَفِعُ بها إلّا مَن كانَ العِلمُ مِن مُقَوِّماتِ قَومِيَّتِهِ، فإنَّ تفصيلَ الآياتِ لِيَقومَ بها المؤمنون والعلماءُ في حياتِهم، ففيه إشارةٌ إلى أنَّ العلماءَ قائمونَ بآياتِ اللّهِ تعالى، وهي تصرِّحُ بأنَّ مَن يعلمُ آياتِ اللّهِ هو منَ القومِ الّذين يعلمون، فدلَّ اجتماعُ العلماءِ وقيامُهم بالآياتِ على أنَّهم وحدةٌ واحدةٌ.

غَرَضُ تنكيرِ (قَوْم):

تعظيمُ المؤمنين والثَّناءُ عليهم

تنكيرُ (قَوْم) في قَولِه: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ للتَّعظيمِ والثَّناءِ على المؤمنين؛ لاتِّصافهم بالعلمِ النَّافعِ الهادي إلى الصِّراطِ المستقيمِ، والمُستَمَدِّ مِن آياتِ اللّهِ، وهَدي رسولِه ﷺ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بالعِلْمِ دونَ الفهْمِ:

العلمُ ركيزةُ بناءِ الأُممِ والحضاراتِ، والجَهلُ داؤُها

في التَّعبير بالعِلمِ تعريضٌ بانحطاطِ الجهلِ وأَهلِه، وفيه أيضًا تحريكٌ لمشاعرهم وتهييجٌ وإلهابٌ لعقولِهم وضمائرِهم؛ ليُفيقوا من غفلتِهم، ويستيقظوا مِن سُباتِهم، ويُصحِّحوا ما هُم فيه مِن أخطاءَ؛ عَلَّهم يثوبون إلى رُشدِهم[1].

دَلالةُ التَّعْبيرِ بالفعْلِ المضارعِ:

دعوةُ المؤمنين للاستمرارِ في طلَبِ العِلْمِ

التَّعبيرُ بالمضارع: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ تَنويهٌ بِفَضل استمرارِ طَلَبِ العِلمِ، وفيه أيضًا إشارةٌ إلى شِدَّةِ حِرصِ هؤلاء المؤمنين الموصوفين بالعِلم على تَجَدُّدِ معرفتِهم بِرَبِّهم، وتجَدُّدِ عِلمِهم بوحدانيَّةِ اللّهِ تعالى، وما شرعَهُ لهم من أحكامٍ، والعمل بمقتضى ذلك.

تَوجيهُ المُتشابِهِ اللّفظيِّ:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ

(1) الطعنيّ، التَّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/369.

مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: 32].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24].

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرُّوم: 28].

فهذه ثلاثُ آياتٍ كريمةٍ يُسأَلُ فيها عن سِرِّ خِتام الأولى بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف: 32]، والثّانية بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾ [يونس: 24]، والثّالثة بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٨﴾ [الرّوم: 28].

الخَتْمُ بالعلْمِ يُناسِبُ ذكرَ المُحرَّماتِ والمُباحاتِ

ويُجاب عن هذا بأنَّ تَخصيصَ تَفصيلِ الآياتِ بأنّها ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ في سورة الأعراف جاء مناسبًا لسياقِها؛ لأنّها وردَت في سياقِ الرَّدِّ على مزاعمِ الكُفَّار وجهالاتِهم في تحريمِ زينةِ اللّهِ تعالى، والطَّيّباتِ منَ الرِّزقِ؛ حيث كانوا يطوفون بالبيتِ الحرامِ عَرايا، ويُحرِّمون أكلَ الدَّسَمِ وغيره في أثناء حجِّهم، فجاءَتِ الآيةُ الكريمةُ للإنكارِ عليهم وتوبيخِهم، وبيانِ أنَّ اللّه سبحانَه هو الّذي أَحَلَّ لعباده الطَّيِّباتِ، وهذا الحُكمُ الّذي لا ينتفعُ به إلَّا مَن أُوتي علمًا؛ أي: مَن كانت لَهُم مَلَكَةٌ وقابليَّةٌ للعلمِ؛ ليَتَوَصَّلُوا به إلى الاعتقادِ الحَقِّ الصَّوابِ، والعَمَلِ الصّالِحِ؛ لذا كان منَ الملائمِ ختامُ الآيةِ بقولِه: ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾.

أمَّا آيةُ يونسَ فوردَت في مقامِ الحديثِ عن زوالِ التَّمتّعِ بالدّنيا

من خلال صورةٍ تشبيهيّةٍ مُركّبةٍ؛ حيث شُبِّهَت هَيئَةُ التَّمَتُّعِ بالدُّنيا لأصحابِها بهَيئَةِ الزَّرعِ في نَضارَتِه، ثُمَّ في مَصيرِهِ إلى الحَصدِ، وتَخصيصُ تَفصيلِها بـ(قوم يتفكّرون)؛ لأنَّهُمُ المُنتَفِعُونَ به؛ ولأنَّ ما ذُكِر في هذا المَثَل يحتاجُ إلى رَوِيَّةٍ وتَدَبُّرٍ وتَفَكُّرٍ؛ لذا كان الملائمُ ختامَ الآيةِ بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: 24]، "فَإنَّها آياتٌ وعَلاماتٌ يَستَدِلُّ بها مَن يَتَفَكَّرُ فيها على أحوالِ الحَياةِ الدُّنيا حالًا ومآلًا"[1].

الخَتْمُ بالتَّفكُّرِ يُناسبُ تدبُّرَ مَثلِ الدُّنيا وما تَؤُولُ إليه

"وفيه تَعريضٌ بأنَّ الَّذينَ لَم يَنتَفِعُوا بالآياتِ لَيسُوا مِن أهلِ التَّفَكُّرِ، ولا كانَ تَفصيلُ الآياتِ لأجلِهِم"[2].

وأمَّا آيةُ الرّوم فقد اشتملَت على مَثَلٍ ضَرَبَه اللّهُ ﷻ لِمَن جَعَلَ لَهُ شَرِيكًا مِن خَلقِه، مَثَلًا مُنتَزَعًا مِن أَنفُسِ المُخاطَبين الَّتي هي أقرَبُ الأُمُورِ إلَيهم، إذ ضربَ اللّهُ للمشركين مثلًا من عبيدِهم وإمائِهم ممَّن يشاركُهم في رزقِهم، ويرون أنّهم وإيَّاهم متساوون فيه، فأنتم تخافونَهم كما تخافونَ الأحرارَ الشّركاءَ في مقاسمةِ أموالِكم؟ إنّكم لن ترضَوا بذلك، فكيف ترضَون بذلك في جنبِ اللّهِ بأن تجعلوا له شريكًا من خَلْقِه؟ لِذَلِكَ عَقَّبَ بِجُملَةِ ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرّوم: 28]؛ لأنَّهم هُمُ الّذين يَستَعمِلُون عُقُولَهم في تَدَبُّرِ الأمثالِ، وهم أصحابُ العقولِ السّليمةِ الّذين ينتفعونَ بها، والقَومُ الَّذينَ يَعقِلُونَ هُمُ المُطيعونَ، الّذين يَنْأون بأنفسِهم عنِ اللَّجاجِ والعنادِ والمكابرةِ، الباحثونَ عنِ الحَقِّ، تقودُهم عقولُهم.

الخَتْمُ بالعقلِ يُناسبُ غَرَضَ المَثَلِ في إقرارِ التَّوحيدِ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العِلْمُ والفِقْهُ:

العِلمُ: يَدُلُّ أصلُ مادَّةِ العلمِ على أَثَرٍ بالشَّيءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَن

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/325.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/178.

غَيرِهِ[1]، والعِلمُ نقيضُ الجَهلِ، وهو إدراكُ الشّيءِ بحقيقته، سواءٌ كان ذلك الشّيءُ خفيًّا، أو جليًّا، والحُكْمُ عَلَيه[2]، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [مُحَمَّد: 19]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ [الممتحنة: 10].

العـلـمُ هـو تحصيلُ المعلومِ جُملةً، والفقهُ نظرٌ زائـدٌ عليه بفِطنةٍ وحُسْنِ فهمٍ

أمّا الفِقهُ فالمعنى المِحوريُّ للمادَّة هو وُصولٌ إلى حقيقةِ باطنِ الشّيءِ[3]، والفِقهُ هو العِلمُ بالشَّيءِ والفهمُ لَهُ، وغلبَ على علم الشَّريعةِ؛ لسِيادَته وشَرَفِه وفَضلِه على سائرِ أنواعِ العِلم[4]، فالفقه: فِطنةٌ وتدقيقُ نَظَرٍ، ومن شواهدِه قولُه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65]، وقولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: 65].

فالعلمُ هو تحصيلُ المعلوم، والفقهُ نظرٌ زائدٌ عليه، وسياقُ الآيةِ يناسبُه خَتْمُها بالعلم؛ لكون التّحريم والتّحليل يحتاجان إلى علم في فهم معاني القرآنِ الكريم وأحكامِه، وأنّ هذا التّفسيرَ والتّبيانَ لا يصلُ إليه أحدٌ إلّا مَن تحلّى بالإخلاصِ والفطنةِ والبصيرةِ.

التّفكّرُ والتّدبُّر:

التَّفَكُّرُ: يدلُّ أصلُ مادّةِ التَّفكُّرِ على تَرَدُّدِ القَلبِ في الشَّيءِ[5]،

التَّفَكُّرُ تَصَرُّفُ القَلبِ بالنَّظَرِ، أمّا التَّدبُّرُ فهو النَّظَرُ العَقليُّ إلى عواقبِ الأمورِ مع إدامةِ النَّظرِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علم).
(2) الرّاغب، المفردات: (علم).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فقه).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (فقه).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فكر).

أمَّا التَّدَبُّرُ فيدلُّ المعنى المِحوريُّ للمادَّة على امتدادٍ غائرٍ إلى آخرِ الشّيءِ أو خَلفِه[1].

والتَّفَكُّرُ هو: تَصَرُّفُ القَلبِ بالنَّظَر في الدّليل، أمَّا التَّدبُّرُ فإنّه يعني النَّظَرَ العَقليَّ إلى عواقبِ الأمور[2]، أو أن ينظرَ الإنسانُ في الشّيء على وجه العِبرةِ والعِظَة؛ لتقويةِ جوانبِ الخيرِ والصَّلاحِ، ومقاومةِ دواعي الشَّرِّ والفساد[3].

ولا يشترطُ في التَّفَكُّرِ إدامةُ النّظرِ، أمَّا التَّأمُّلُ فقد رُوعِي فيه إدامةُ النّظرِ والتّثبّتُ، وكُلٌّ مِنَ التَّدَبُّرِ والتَّفَكُّرِ مِن عَمَلِ القلبِ وَحدَه.

التَّفصيلُ والتَّبيينُ:

التّفصيلُ فيه زيادةُ تفريقٍ وتجزيءٍ، أمَّا التَّبيينُ ففيه زيادةُ بيانٍ وإيضاحٍ

الفَصلُ: إبانةُ أحدِ الشّيئين منَ الآخر حتَّى يكون بينهما فُرْجَةٌ، وفي الفَصل قَطعٌ وتمييزٌ. والتّفصيلُ: التَّبيينُ والتّوضيحُ بصورةٍ واسعةٍ لأُمورٍ متعدّدةٍ مختلفة، نحو قولِه تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: 95 - 97].

التَّبيين: يَدُلُّ أَصلُ المادَّة على بُعدِ الشَّيءِ وانكشافِه، ومن شواهدِه قولُه تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: 187].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (دبر).
(2) الجرجانّي، التّعريفات، ص: 249.
(3) الشَّرباصّي، موسوعة أخلاق القرآن: 2/226.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»